

رسالة القومية العربية

فتحي يكن

فتحي يكن

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة

بقلم الأستاذ محمد عمر الداعوق رائد جماعة عباد الرحمن

أحمد الله تبارك وتعالى وأصلي وأسلم على نبيه الكريم وبعد، فحيثما سرحت النظر.. وحولت البصر.. في طول البلاد العربية وعرضها لا ترى إلا شعباً يثور على ظالميه، وحكماً ينهار بمن فيه وهذه سنة الله في خلقه أنه يمهل الظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه لم يفلته..

لقد إستيقظ الوعي الشعبي في كل مكان بعد فترة من يأس وبؤس، كانت فيها البلاد مرتعاً للخونة ومغنا للمستعمرين.. إستيقظ هذا الشعب على أيدي المغتصبين وهي تمتد حتى كادت تمس الأعناق وتزهق الأنفاس..

وطبيعي أن تكون هذه الإنتفاضات الثورية إرهاباً لتمخض فكرة من الأفكار واستقرار نظام من النظم... سيما وأن البلاد العربية في عصرها الحديث تعج بعدد من النظم والمبادئ منها ما هو مخالف لطبيعتها، ومنها ما هو قريب من فطرتها ومنها ما هو لازم لها لزوم الهواء للإنسان.. ولما كان أكثر المفكرين والكتاب والباحثين عن هذا النظام بعيدين عن الإسلام ونظامه الخالد فقد رأى هذا الشاب المخلص لدينه الحريص على عزة قومه أن ينير الطريق للشباب العاملين والرجال المخلصين بهذا الكتيب الذي يبحث واقع الأمة العربية ومعنى القومية العربية و موقف القوميين من الدين، ثم ينتقد الإشتراكية من حيث هي نظام إقتصادي تفقد الشمول الإصلاحي بمرافقه السياسية والإجتماعية والخلقية.. وكيف أن النظام الإقتصادي الإسلامي يحقق روح الإشتراكية ومنافعها ويترك أخطاءها ومضارها.. ويرى المؤلف أن الإسلام هو رسالة العرب التي تحقق من جملة ما تحقق أهداف القوميين العرب من وحدة وتحرر..

وما هدفه من وراء هذا الكتاب إلا بعث النهضة العربية الإسلامية من جديد، والله أسأل أن ينفع به القارئ ويهدينا سواء السبيل .

محمد عمر الداعوق

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

في هذه الفترة الحالكة من حياة البشرية .. وإبان هذه الغمرة التي عصفت بالقيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية .. وفي وقت ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، يؤلمني أن أرى شباب أمتي ورجالها تائهين في مهامه مقفرة من المبادئ المضلة و الدعاوى المغرضة .

ومما يزيد الموقف خطورة أن بلادنا تواجه اليوم أضخم تعبئة استعمارية تفوح بالخبث والإحتيال .. وتتعرض لأوسع حشد عسكري يرشح بالمكر والخداع، في حين تقف العصابات اليهودية في فلسطين ومن ورائها الصهيونية العالمية متأهبة للإنقضاض، ومستعدة لغزو ما تبقى من أراض تزعم أنها الحدود الطبيعية لدولتها المزعومة .

على الرغم من هذا الوضع الذي يزداد خطورة يوما بعد يوم والذي ينبغي أن نكون فيه أقوياء متحدين، نجد بلادنا وقد أصبحت أتونا يستعر بنار الحزبية الموتورة والفرقة المبيدة . حتى غدت المبادئ على اختلافها وتباينها مبعث جدل بيزنطي تشاهد وقائعه في كل مكان .. فكم من حلقة عقدت . ونشرات وزعت ومحاضرات ألقيت .. وكلها تهدف إلى فرض اتجاه فكري معين .

وليت الأمر وقف عند حد المشاحنات الكلامية بل تطور في أغلب الأحيان إلى اصطدامات مسلحة ومعارك دامية .. فكم من حملة بوليسية نظمت وبيوت فتشت، ومحاكم عقدت، وسجون ومعتقلات أنشئت، ومشانق نصبت، وكلها ترمي إلى تدعيم نظام حياتي محدد.

من خلال هذه المشاهدات التي كانت تتمثل أمام ناظري على مسرح المجتمعات العربية وضعت هذه الرسالة المقتضية لاعتقادي الجازم بأن نهضة هذه الأمة لن تتم

عن طريق هذه المبادئ الوضعية التي أثبتت فشلها في كثير من الأحيان إن لم نقل في كلها في حين إن لدينا تراثاً مجيداً يكفينا مؤونة البحث والتنقيب والتعديل والتجريب.

إنه الإسلام ونظامه الذي قدم للإنسانية أرقى حضارة عرفها التاريخ والذي شيد صرح أقوى دولة امتدت أطرافها من طنجة إلى كراتشي . إنه رسالة العرب إلى الأمم كافة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ {الأعراف:15}.

ولئن تنكّب لهذه الرسالة بعض مغرضي اليوم من منتحلي القومية ومدعي الوطنية ومعتنقي الإشتراكية، ووقفوا منها موقف الخصم، وطالبوا بفصلها عن الدولة فلا تزال والله الحمد الكثرة الساحقة والمجموعة الغالبة في الأمة تؤمن بالإسلام ديناً و دولة مصحفاً وسيفاً عبادة و تشريعاً.

لقد جهل دعاة القومية كل الجهل حين لم يجعلوا للإسلام نصيباً في تخطيط حياتهم . و لقد أغرقوا في الخطأ والمكابرة يوم لم يتخذوا من خصائصه الثابتة أساساً يُقيمون عليه فلسفتهم.

و سنرى في الصفحات المقبلة كيف تنهار وتتهاوى خصائص القومية المتداعية أمام الحق والمنطق، وكيف تنتصر مبادئ السماء السرمدية على التخرصات الأرضية ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {الأنفال: ٣٧} .

وقبل أن أختم هذه المقدمة لا بد وأن أنصح القارئ العزيز إن كان طبعاً من أصحاب المذاهب التي عنيتها بأن يتخلى عن هواه وعصبية الحزبية ريثما يتم قراءتها وتدبر محتوياتها، سائلاً الله تعالى أن ينفع بها عباده و أن يصلح الذين اتبعوا طريق الشيطان عسى أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ {السجدة: ٢٢} .

المؤلف

عناصر البحث

. القومية العربية .. تعريفها

. خصائصها

اللغة - التاريخ - الأرض - المصالح المشتركة

. فلسفتها: الإشتراكية

. موقف القوميين من الدين.

. خصائص رسالة الإسلام :

العالمية - الشمول - المرونة

. أهداف القوميين العرب :

الوحدة - التحرر

. خلاصة : الإسلام رسالة القومية العربية

تأسست عام ١٩٩٩

مؤسسة فتنحي يكن الفكرية الإنسانية

تعريف

القومية العربية

أصبحت القومية اليوم أنشودة ترددها غالبية سكان البلاد العربية .. هذا لا شك فيه، ولكن أن تخرج القومية عن كونها رابطة شعوبية وتنطلق عن معناها المألوف إلى درجة يعتقد معها الناس أنها مبدأ أو رسالة، فهذا هو عين التخريف وأصل كل انحراف.

ولذا وجب طرحها على بساط التفسير حتى لا تبقى بعد اليوم أداة لاستغلال رخيص أو دعاية هزيلة أو تكئة يوجه دعائها من ورائها السهام والحراب إلى نحر الإسلام بينما هم في الحقيقة أعداء لقوميتهم ولأمتهم ولدينهم سواءً بسواء.

* * *

من المؤسف أنك لا تستطيع أن تقف على تعريف ثابت للقومية بين جمهرة الفرق التي نادى بها . وقد لا يكون هذا بالغريب أو العجيب طالما أنها - أي القومية - لم تكن سوى عدوى انتقلت إلينا من بلاد غريبة عنا .

ومن طبيعة العدوى أنها تنتقل نفس الأعراض والخصائص ..فما دامت أعراض القوميات الأوروبية متباينة تحتّم تباين التفسير القومي عندنا أيضاً .

لقد كان اضطراب التفسير القومي لدى فلاسفة أوروبا السبب في الإختلاف الذي وقع به دعاة القومية في بلادنا ..ففي الوقت الذي نرى فيه القومية الألمانية تقوم على أساس) العرق الآري الممتاز (وأن ألمانيا فوق الجميع نجد" ماتزيني "في الناحية الأخرى يقول) الحق أننا لا نستطيع أن نجد في بقعة واحدة من بقاع أوروبا شعباً نقياً خالصاً لم يمتزج بسلالات شعبية أخرى (وهذا ما ينطق به واقع الشعب الفرنسي الذي يتألف من مزيج الألمان والسيلينيين والرومان.

ومن ثم لو تتبعنا تاريخ القومية الألمانية التي ظهرت في ألمانيا قبل عام 1870 لوجدنا أنها خطت بعض الخطوات الأولية في سبيل تدعيم الوحدة الألمانية، يوم أن كانت ألمانيا منقسمة الى دول ودويلات يزيد عددها على الثلاثمائة حتى مطلع القرن الثالث عشر.

ولكن ما إن تتعاقب بنا السنون حتى نجد أن هذه الوحدة التي بدت متماسكة قوية، وقد بدأت تشمخ بأنفها في زهو وخيلاء من تأثير خمرة - العرق الآري الممتاز - وإذا بهذا الجبار العنيد يتداعى و يهوي ولا يبقى منه سوى ذكريات يتناقلها الكتاب و المؤلفون .

فالقومية بنظري ليست سوى كيان فارغ يحتاج إلى إملاء ..و ليست إلا عاطفة جياشة بحاجة الى دعائم فكرية قوية وفلسفة منطقية معينة .وقد أعجبنى في تحديد معنى القومية ما قاله الأستاذ محمد المبارك في مقال له تحت عنوان بين القومية والإنسانية (لقد أصبح في العالم اليوم مجموعات من أمم كثيرة، تشترك في عقائدها و فلسفتها ونظمها ..بل تشترك في نظام سياسي واجتماعي وثقافي واقتصادي واحد ..فلم تعد القومية غاية لذاتها، بل وسيلة لغاية إنسانية ..فالقومية واقع يحتاج إلى عقيدة، وفكرة إجتماعية وتاريخية تحتاج إلى مثل انساني أعلى وليست هي مثلاً أعلى).

خصائص القومية

العربية

من البديهي أن تعتمد الدعوات في قيامها إلى خصائص تجسمها وتجسدها .
والدعوة التي لا تعتمد على واحدة من هذه هي دعوة لن يُكتب لها الحياة، بل لا يصح
إعتبارها حتى مجرد دعوة .. وبالتالي إن لم تكن الخصائص تعبيراً صادقاً لماهية
الدعوة ولمضمون الفكرة تصبح أشبه بنفخة في رماد وصيحة في واد.

فلنتبين الآن مدى إتصاف الخصائص التي تركز عليها القومية العربية بالصحة
و الثبوت ..

١- اللغة

يعتبر فريق من القوميين اللغة أساساً من أسس القومية وعنصراً من عناصرها
وهم في ذلك متبعون لا مبتدعون . يرى الفيلسوف الألماني "Fikhteh" أن الناس
يتكونون باللغة ويرى أن اللغة الجرمانية بكونها أسمى اللغات وأقلها تأثراً بغيرها
جعلت الألمان أرقى الشعوب التي تحوي ألسنتها كثيراً من العناصر الدخيلة الأجنبية
عنها . والحقيقة أننا لا نستطيع إنزال اللغة هذه المنزلة لعدة وجوه:

أولاً : لو كان لها هذا التأثير القوي في صهر الناس وتكوينهم وتجنيسهم لحقّ على
الأميركان والإنكليز أن يكونوا أصحاب قومية واحدة طالما أن اللغة الإنكليزية هي لغة
الشعبين . هذا بالإضافة إلى أن الشعب الأمريكي مزيج من سلالات مختلفة نزلت من

٢- التاريخ

و يهتف القوميون بالتاريخ عنصراً من عناصر القومية العربية، والتاريخ الذي يعتبرونه عنصراً من عناصر قوميتهم ينقسم إلى حقتين:

- حقبة سبقت ظهور الإسلام (الجاهلية).
 - حقبة سارت مع الإسلام فعرفت به وعرف بها.
- نحن لا ننكر أن حضارات عظيمة ظهرت في الحقبة الأولى من التاريخ العربي . فحضارات الدول الشمالية و منها دولة تدمر، و حضارات الدول الجنوبية و منها دولة سبأ وحمير، سجلت في التاريخ القديم نبوغاً و تفوقاً في كثير من العلوم والفنون . فالدولة التدمرية لها آثار جلييلة في العمران وخاصة في الزخرفة والبناء والنقوش والكتابات . وقد تضمنت هذه النقوش عدة قوانين شرعية وتجارية . كما كانت دولة سبأ وحمير على جانب كبير أيضا من التقدم الصناعي والزراعي والسياسي.
- و أعظم ما عرف عنها هو بناء السدود للإستفادة من مياه الأمطار . كل هذا ما لايجوز إنكاره بحال..

و لكننا ننكر وجود أي دافع يشدنا الى تلك الحضارات البائدة المنعدمة . فهل يعقل أن نتخطى حضارة الإسلام التي عرفت بها أمتنا طوال أربعة عشر قرنا إلى حضارة لا نحس بدافع اللهفة نحوها ولا نشعر بنوازع الحنين إليها؟ ونحن في الوقت نفسه لا نجد أثراً من صلة تربط التاريخ الجاهلي بالتاريخ الإسلامي وذلك لعدة فروق منها:

في المعتقدات:

نجد أن الفارق شاسع وبعيد بين المعتقدات الجاهلية وعقيدة الإسلام ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۗ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۗ﴾ {السجدة: 18:19:20}.

لقد انحطت قوى العرب العقلية وخاصة سكان البادية إلى درجة اعتقدوا معها أن الأصنام والتمائيل هي التي تضر وتنفع، فتعددت الأصنام و كثرت حتى أصبح لكل قبيلة إله . وكثيراً ما كان العربي يصنع إلهه من تمر ويصعبه معه في السفر حتى إذا جاع أكله . والعرب مع هذا أصناف شتى:

فمنهم من أنكر وجود الخالق والبعث والإعادة و قالوا أن الدهر هو المحيي وهو الممفي ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ {الجاثية: ٢٤} .

و صَنَّفَ منهم أقر بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكر البعث والإعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ {يس: ٧٨} .

فاستدل عليها القرآن بالنشأة الأولى إذ اعترفوا بالخلق الأول فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ {يس: ٧٩} ، وقوله: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ {ق: ١٥} .

وصنف منهم أقر الخلق وابتداء الخلق و نوع من الإعادة وأنكر الرسل وعبد الأصنام وحج إليها ونحر لها الهدى، وقرب القرابين، وهم الدهماء من العرب الأشرف فرقة منهم، وهم الذين أخبر عنهم التنزيل: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ {الفرقان: ٧: ٨} .

فاستدل عليهم بأن المرسلين كانوا كذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ {الفرقان: ٢٠} .

فشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين إحداهما انكار بعث الاجساد والثانية جحد بعث الرسل فعلى الأول قالوا: ﴿أَنذًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنبَا

لَمَبْعُوثُونَ ﴿الصفات: ١٦﴾، إلى أمثالها من الآيات وعبروا عن ذلك في أشعارهم فقال بعضهم:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

وأما الشبهة الثانية فكان إنكارهم لبعث الرسل في الصورة البشرية أشد وإصرارهم على ذلك أبلغ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ {الإسراء: ٩٤}، ﴿.. أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا..﴾ {التغابن: ٦}.

ومن العرب من كان يعتقد بالتناسخ فيقولون إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا غلبهم رسول الله حين قال: ((لا هامة ولا عدوى ولا صفر)) (رواه البخاري ومسلم).

و من العرب من عبد الجن ..فكان الرجل اذا أمسى يفقر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه . فرد عليهم القرآن بقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ {الجن: ٦}، أي كبرا وعتوا بأن أضلوهم حتى استعانوا بهم من دون الله.

ومن العرب من عبد الماء بحجة أنه أصل كل شئ وكان الرجل إذا أراد عبادته، تجرد من ثيابه كلها ودخل فيه حتى يصير إلى وسطه فيقيم ساعتين وأكثر وتكون كمية من الرياحين، فيلقئها في الماء شيئاً فشيئاً وهو يسبح ويمجد، حتى إذا أراد الانصراف حرك الماء بيديه ثم أخذ منه قدراً فصبه على رأسه وجسده ثم سجد وانصرف.

هكذا كان أمر عقائد العرب في الجاهلية ..ولكن ما إن ظهر الإسلام حتى قوض هذه المعتقدات كلها.

ووجه القلوب إلى عبادة إله واحد له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير .وبذلك انحلت العقدة الأولى التي طالما شغلت عقول الناس وجعلت حياتهم في قلق واضطراب دائمين.

لقد انتقلوا بالإسلام من الظلمات إلى النور ومن باطل إلى حق .. فهل يحسن بمن عاش في غمرة النور أن يحن للرجوع إلى العتمة؟ وهل يجمل بمن عرف الحق أن ينتكب عنه و يهجره؟!

فكل فكرة تقوم على غير الإسلام فإنما تحن إلى العهود المظلمة والكفر البواح، وتكون بذلك رجعية ومختلفة عن الركب الإسلامي الحضاري الذي خط للإنسانية أعمق المعاني وأصوبها في تعريف للكون والانسان والحياة.

في العادات

يعجز القلم عن وصف ذاك التغيير الفاضح الذي طرأ على عادات العرب بظهر الإسلام .حتى يصح لنا أن نقول أن المجتمعات العربية خلقت بالإسلام خلقاً جديداً.

فمن عادات العرب في النكاح: أنه إذا مات الرجل عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه، فإن كان له بها حاجة طرح ثوبه عليها، وإن لم يكن له بها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد .ومن عاداتهم في النكاح أيضا أن يخطب الرجل الفتاة على مهر معين وهو الذي أقره الإسلام .ومنها أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من حيضها إذهبي إلى الشريف فلان واستبضعي منه فتذهب إليه ولا يقربها زوجها حتى يتبين انها حملت، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد .ومنها أن يجتمع الرهط دون العاشرة فيدخلون على الإمراة و يواقعونها في طهر واحد؛ فإذا حملت ووضعت أسمت من أحبت أن تلحق ولدها به و تصبح له زوجا .ومنها أن يأتي الرجل بعض ذوات الرايات - وهن البغايا - فإذا ولدت ذهب إلى القائف فألحق ولدها بالذي يراه شبيها بأبيه .ومنها أن يتبادل الرجلان زوجتيهما فيتنازل الواحد للثاني وتصبح زوجته.

هذا ما كان من أمر النكاح في الجاهلية ..أما في الإسلام فقد قامت قواعده على الطهر و العفاف والفضيلة فوضع لذلك عقودا و أنظمة تحفظ للمرأة حقوقها وتصور لها عفتها و كرامتها .فمنع الزنا وعاقب عليه وشجع الثواب وأثاب عليه، فهذا رسول

الله ﷻ يقول: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) وحظر الإسلام على النساء الخروج للمجتمعات بقصد إظهار الفتنة فقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ {النور: ٣١}، ثم إن الإسلام توعّد الذين يريدون إفساد المجتمع بإظهار الفاحشة فيه، كبيوت البغاء فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقد جعل الإسلام النكاح كسائر العقود، وشرطه الإيجاب والقبول وحضور الشاهدين. وأباح للخاطب أن يرى خطيبته وبالعكس حتى يحصل الوفاق ودفعاً للندم قبل فوات الوقت. روى البخاري وغيره أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال النبي ﷺ: ((انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)) أي تحصل الموافقة و الملاءمة.

وأباح الإسلام تعدد الزوجات لا للعبث كما يتوهم ذوو العقول الضعيفة وإنما لمبررات منها أن الإسلام علم أن من الرجال من لا يمكن أن يكتفي بواحدة لقوة الدوافع الجنسية عنده فأباح تعدد الزوجات منعا له وحرصا عليه من الوقوع في الزنا، فيحمي بذلك المرأة من شر مستطير. وهذا ولا يخفى أن تعدد الزوجات أفضل للمجتمع من تعدد العشيقات. وتعدد الزوجات وإباحته خيرٌ حلٍ لما يعقب الحروب المدمرة من أزمات عند فقدان الرجال وكثرة النساء.

و من عادات العرب في الجاهلية: أنهم كانوا يبدون بناتهم في التراب وهن أحياء تبرما منهن وإهمالا لشأنهن وبذلك تشير الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمُ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۗ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ {النحل: ٥٨: ٥٩}.

فجاء الإسلام وقرر وحدة الجنسين الذكر والأنثى (النساء شقائق الرجال) بل وإنه بشر والد الأنثى بثواب عظيم إذا هو أحسن رعايتها فقال عليه الصلاة والسلام: ((من

عال بنتين أو ثلاثا أو أختين أو ثلاثا حتى يبين أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها)). وقال: ((من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده الذكور عليها أدخله الله الجنة)).

ومن عادات العرب في الجاهلية: تعصبهم الأعمى لقبائلهم حتى كانت الدماء تسيل أنهاراً لأتفه الأسباب وأحقر المسببات. وما أسباب حرب البسوس التي نشبت بين بكر وتغلب سوى ناقة رآها كليب فأنكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها، ففرت الناقة ترغو، فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت واذلاه واجاراه. فكانت الصيحة كافية لإضرام نار حرب ضروس ذهبت بمئات الأنفس البريئة.

ولكن ما إن جاء الإسلام وأرخی ظلاله الوارفة على شبه الجزيرة حتى كانت الجماهير العربية تنضوي تحت لوائه صفا واحداً، متناسية الأحقاد والخصومات الجاهلية رافلة بنعمة الأخوة التي أضفتها عليهم رسالة السماء. وتمثلت جميع هذه المعاني الحية في الآية الكريمة: ﴿.. وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ {آل عمران: ١٠٣}.

يطول بنا المقام كثيراً لو أردنا استعراض جميع عادات العرب في الجاهلية وكيف أن الإسلام قلبها رأساً على عقب.. ولكننا نكتفي بهذا القدر اليسير الذي يوضح لنا الواقع الهزيل الذي تمثل في مجتمعات التاريخ الجاهلي والذي لا يصح اعتباره عنصراً من عناصر القومية العربية بحال.

في الحالة السياسية:

وإذا انتقلنا الى عصور ما قبل الإسلام نستقرئ حالة العرب السياسية لطالعتنا حقائق مخجلة للغاية.. لأننا لا نجد فترة ولو قصيرة استطاع العرب فيها أن يحظوا

بنعمة الاستقلال والسيادة .. لقد كانوا في زحمة الصراع القائم بين فارس والروم قربان
العداء .. بل كانوا بين مطامع كسرة وقيصر الحفنة المضیعة.

ثم يسیر بنا التاريخ شوطا إلى الأمام، ليقف بعدها على زلزلة عنيفة اجتاحت
جزيرة العرب من أقصاها الى أقصاها .. ويتصدع إيوان كسرى وقيصر على أثر
انبثاق الدولة الإسلامية التي أخذت تحطم قيود المستعمرین وتلك عروش الطغاة
والجبابرة.

وتدور عجلة الزمان قليلا لتقف بعد ذلك جحافل المسلمين تناصب الدولتين
الكبيرتين العداء وتجعلها بعد معارك متلاحقة أثرا بعد عين . وتمتد الدولة الإسلامية
في كل مكان وتبسط نفوذها وسيطرتها على العالم بأسره . وتغدو البلاد العربية مصدر
الإشعاع الروحي والفكري والعسكري.

فبالإسلام عزّ العرب وبدونه ذلّوا .. هذا ما ينطق به التاريخ السياسي لأمة العرب ..
وهذا ما لم يعرفه بعد، أو عرفه وحرّفه، المغرضون وغيرهم ممن يريدون إقصاء
الإسلام عن دنيا العروبة ساء ما يفعلون ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ {التوبة: ٣٢} .

بعد هذا العرض الموجز للفروق البعيدة بين تاريخ العرب الجاهلي وتاريخهم
الإسلامي، يجدر بنا أن نقول أن التاريخ كعنصر من عناصر القومية العربية أحد
تاريخين . إما أن يكون تاريخ الجاهلية وإما أن يكون تاريخ الإسلام . فإذا كان الأول
أصبحت الدعوى القومية العربية لا تمت إلى الواقعية بصلة لأن هذا التاريخ المنصرم
لا علاقة له بحياتنا الحاضرة وليست له أي خصائص تجعلنا ننتسب إليه أو نحافظ
عليه . وإذا كان الثاني أصبح من الضروري أن يكون الإسلام كرسالة أوجدت هذا
التاريخ العنصر الأول والأخير الذي يجب أن تعتمد عليه القومية العربية في نهضتها
الحديثة .

و استطراداً لما تقدم أقول :إما أن يكون تاريخهم إسلامياً فيكون بذلك عنصر التاريخ عندهم واقعياً..

وإما أن يكون جاهلياً فتغدو دعواهم مستهجنة خيالية لا مكان لها في وطن يعيش أهله بتاريخ الأمة الإسلامية التي كانت خير أمة أخرجت للناس.

٣- الأرض

وينادي فريق بالأرض عنصراً من عناصر القومية العربية .والواقع أننا إذا أردنا تحديد الأرض التي سكنها العرب منذ فجر التاريخ لأسقطنا من حسابنا عدداً من البلاد التي أصبحت عربية بعد الفتح الإسلامي .فأرض العرب في الواقع على نوعين:

١- نوع عربي :وهي الأراضي التي سكنها العرب منذ القدم فعرفت بهم وعرفوا بها وتضم شبه الجزيرة العربية وصحراء سوريا.

٢- نوع مستعرب :وهو الأراضي التي افتتحتها المسلمون وسكبوا فيها تعاليمهم ونشروا فيها لغتهم ونخص منها مصر وشمال إفريقيا.

أما مصر فقد سكنها الفراعنة من عهد موسى عليه السلام ولم تتخذ وجها عربياً حتى افتتاحها على يد عمرو بن العاص القائد المسلم.

وأما البلاد التي تمتد على ساحل إفريقيا الشمالي وتضم ليبيا والجزائر ومراكش وتونس فكانت معروفة قبل دخول الإسلام إليها بأنها وطن البرابرة سكان البلاد الأصليين.

فأية أرض يعتبرها القوميون أرضاً عربية عريقة ومن ثم يعتبرونها عنصراً من عناصر قوميتهم؟ إذا كانت أرض شبه الجزيرة وهذه فقط التي تعرف بأرومتها العربية فقد سلخوا عن محيط دعوتهم مصر والمغرب العربي بل جميع البلاد الأخرى

التي تعربت بعد الإسلام .وأما إذا كانت أرض العرب بعد الإسلام هي العنصر
الأرضي الذي ينادي به القوميون فإن هذه الأرض لم تكن عربية قبل الإسلام
وأصبحت عربية بعده .وبالتالي أصبح تاريخها تاريخه ,ومعتقداتها معتقداته ,ورسالتها
في الحياة رسالته فهي أرض إسلامية بحكم الواقع مصداقا لقول الشاعر

:

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنا
الشام فيه ووادي النيل سيان
وحيثما ذكر اسم الله في بلد
عددت أرجاءه من لب أوطاني

وإذا اعتبروا الأرضين معاً أرض القومية العربية يعود فضل الإسلام يلح عليهم
من جديد بأنه هو الذي مزج هذه الشعوب بخصائصه ومبادئه ومفاهيمه وما كان
للأرض أو اللغة أو التاريخ من فضل في صَهر هذه الشعوب .ولو كان لها هذا التأثير
لاستطاعت أن توحد ولو سكان شبه الجزيرة قبل الإسلام ,ولاستطاعت أن تجعل منهم
أمة في الجاهلية.

ولما لم يكن لها هذا التأثير وكان للإسلام كل الفضل في هذا المضمار أصبح من
واجبهم الحفاظ على رسالة الإسلام التي صنعت هذه المعجزات .وبالتالي أصبح من
واجب دعاة القومية العربية إعتبار الدين الإسلامي العنصر الأساسي في المناداة
بدعوتهم.

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

عود على بدء

بيّنا فيما تقدم أهم العناصر التي تقوم عليها فكرة القومية العربية. وحددنا درجتها من الصحة والثبوت .

وأما قولهم أن العرب تجمعهم وحدة المصالح وأن وحدة المصالح هذه هي عنصر من عناصر القومية العربية، فهو قول يدحضه الواقع وتزيله الاتحادات والمواثيق التعاونية التي تشترك فيها دول لا تجمعها قومية ولا وحدة أممية. ولكن جمعتها المصلحة الذاتية فقط.

فهذه أميركا وتركيا تشتركان في ميثاق الأطلسي مع التباين الظاهر بين قومية هذه وقومية تلك... ولكن هذا لم يمنع ان تقوم بينهما مصالح مشتركة كالتخلص من الخطر الشيوعي مثلا..

فالمصالح المشتركة أصبحت في هذا العصر غير ضرورية في أن تكون بين البلاد العربية أو بين بلاد ذات قومية واحدة.. فما الذي يمنع الجمهورية العربية المتحدة مثلا من أن تتفق مع روسيا ضد الإستعمار الغربي لمصلحة بقائها وللمحافظة على سيادتها؟!...

واستطراداً لما تقدم من نقد مجموع العناصر القومية نقول مقتضيين أن اللغة العربية لم تنتشر خارج شبه الجزيرة ويتخذها الكثيرون لغة لهما إلا بفضل الإسلام لأنها لغة القرآن. وإن التاريخ الذي يفخر به العرب إنما هو تاريخ إسلامي يعود الفضل في كينونته إلى الإسلام أيضا الذي جعل من شتات العرب أمة واحدة إستطاعت أن تدحر أكبر دولتين في العالم وتسجل ذلك التاريخ العطر وتقيم أرقى الحضارات.

وأما الأرض فإنها أرض إسلامية ماكانت لتكون كذلك لولا الإسلام الذي سكب فيها من روحه وأفاض عليها من تراثه فغدت على لسان رسول الله ﷺ أحب أرض الله إلى الله.

من هنا يتضح لنا أن الخصائص التي يعتبرها القوميين أساسا لدعوتهم ما هي إلا ثمرة من ثمار الإسلام التي يتنكر له هؤلاء. فالإسلام صانع تاريخ العرب... والقرآن حافظ اللغة العربية من الضياع والاندثار... وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ {الجمعة: ٢} .



فلسفة القومية العربية

تطورت فكرة القومية العربية في غضون السنوات الأخيرة تطوراً ملموساً وأمست موضع تفكير الكثيرين من الساسة والكتاب. لقد شعر دعاةها بضرورة قيامها على أسس فلسفية معينة .. وبالتالي بعد أن أخذت هذه الفلسفات تشكل خطراً على الفكرة القومية التي لم يكن لها فلسفة سوى العواطف والمشاعر وهذه وحدها لا تكفي للسمود أمام التيارات الفكرية المبنية على أسس فلسفية مركزية .

ومنها حصلت الإنشاقات في صفوف المجموعات القومية بعد الاجتماع الذي عقد في بيروت عام 1950 .

فقد انشقت عن الحزب التقدمي الإشتراكي الفئة العقائدية فيه لأسباب نوه عنها المنشقون برسالة خاصة ..

وفي سوريا انفصلت عن الحركة الإشتراكية فئة القوميين العرب (الرومانطيين).

بعد هذا التطور الذي لحق بالفكرة القومية أصبحت الصلة وثيقة ومتينة بينها وبين النظرية الإشتراكية، بل أضحت الإشتراكية الفلسفة العقائدية للقومية عند دعاةها .

لذلك أصبح من الضروري نقد النظرية الإشتراكية

أولاً: من حيث هي فلسفة غريبة عنا ..نشأت في ظروف وملابسات لا تمت إلى ظروفنا بأي صلة . وإن النظام الإسلامي بشقيه الإجتماعي والإقتصادي قد حقق روح الإشتراكية عملياً وترك مساوئها.

ثانياً: ومن حيث هي زاوية إصلاح إقتصادي فقد تفقد الشمول الإصلاحي بمرفقيه الإجتماعي والخلقي وتكون بالتالي فلسفة إقتصادية بحنة عجزت وتعجز عن تحقيق العدالة الإجتماعية الشاملة .

أما إن الإشتراكية غريبة عنا فلأنها مستوردة كالقومية من وراء البحار . ولم تنشأ عندنا مطلقاً نتيجة التفاوت الطبقي، أو الرأسمالي، أو المزاخمة الصناعية كما هو الحال في أوروبا .. هذا مع العلم أن مجتمعاتنا تعاني شيئاً من البؤس والحرمان ولكن إلى حد لا يجعل المناداة بالإشتراكية أو الشيوعية تعبيراً صحيحاً لآلامها وشقائها .

كيف نشأت الإشتراكية

نشأت الإشتراكية منذ قرن ونيف تقريباً نتيجة مزاحمة طرق الإنتاج الصناعية لطرق الإنتاج اليدوية .

فكان من جراء ذلك أن انخفضت التكلفة في المصانع الآلية انخفاضاً شديداً أدى إلى توقف وتعطيل المصانع اليدوية . ومن ثم إلى تضخم الأموال في أيدي أرباب العمل، بينما بقي العمال الكادحون يعانون البؤس والحرمان رغم كل تقدم وازدهار صناعي.

• من هذا الوضع بالذات تمخضت الفكرة الإشتراكية ونادت بوجود توزيع الأرباح بالتساوي بين الفريقين أصحاب العمل والعمال . فما دامت الأرباح نتيجة جهود العمال فمن حقهم أن يشتركوا في اقتسامها...

(يقول " انجلز " في كتابه الإشتراكية بين الخيال والعلم) أن السبب المباشر لانقسام المجتمع الى طبقتين : طبقة الرأسماليين أصحاب النفوذ وطبقة العمال كثيري العدد هو التطور الصناعي الآلي الذي أخذ يسيطر على الصناعات اليدوية فرعاً بعد فرع وصناعة بعد أخرى)

غير أن هذه الأسباب والبواعث غير موجودة طبقياً في مجتمعاتنا العربية فهل من المعقول تشخيص أمراض مجتمعاتنا بمنظار مجتمعات أخرى؟ أم هل من المعقول وصف الدواء لمريض لم يصب بداء؟ زد على ذلك أن الإشتراكية إن اعتبرت دواء للمرض الرأسمالي فإنها لم تنجح للأسف في القضاء عليه، بل وقد أثبتت فشلها

وعجزها عن إيجاد مجتمعها الخيالي الذي تنتفي معه الفروق الطبقيّة بين الناس . ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي: (فما هذه الصفات كلها إلا ما قد اختلسه متطبيبو الشرق من وحي متطبيبي الغرب، ويريدون أن يقوموا في الشرق بجميع التجارب والعمليات التي قام بها - أساتذتهم - في روسيا وألمانيا وإيطاليا وأميركا وانكلترا وأخفقوا فيها . غير أن هناك فرقاً عظيماً بيننا وبين أهل الغرب في هذا الباب، لأن متطبيبي الغرب مجتهدون - على قلة علمهم - وأما الذين فتحوا الصيدلية عندنا وادعوا الحذق في علاج الأمراض فهم جامعون بين التقليد الأعمى لأساتذتهم وبين الجهل وقلة الفهم في أنفسهم . فعندما يرى متطبيبو الغرب أن دواءهم لا يكاد يشفي المريض يأتون بشيء من التغيير .. أما تلامذتهم النجباء في الشرق فانهم لا يكادون يشعرون بأي حاجة إلى التغيير في أجزاء دوائهم إلى آخر لحظة من حياة المريض، إلا أن يتلقوا من قبل الغرب نفسه وحيّاً جديداً يسمح لهم بالتغيير . (كتاب أسس الاقتصاد).

ثم إن الطرق الانقلابية التي تعتمدها الاشتراكية في خططها منافية للمصلحة العامة والخاصة على السواء.

فحزب البعث العربي الاشتراكي يقول: ((إن حزب البعث العربي إنقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الإنقلاب)) فهو يستعين بوسائل الإضطهاد والسلب والإكراه لتأميم وسائل الإنتاج. والإسلام على حد قول الأستاذ المودودي لا يجب الطرق الانقلابية كما لا يجب الطرق المتصنعة.

لقد كان العرب قبل الإسلام يستعملون لكسب معاشهم وسائل كثيرة هدمها الإسلام فيما بعد، ولكنه ما صادر الأملاك والضيعات التي كان أهلها كسبوها قبله بهذه الطرق غير المشروعة .. وكذلك لم يتعرض أصلاً للمرابيين ومتعاطي الفاحشة والناهبين ويؤاخذهم بأعمالهم السالفة بل سلم قانون الإسلام المدني لجميع الأفراد بحقوق الملكية فيما كانوا يملكون من ذي قبل وقضى على الطرق المحرمة للمستقبل.

ولكن هذا لم يمنع بعض الخلفاء كعمر بن عبد العزيز مثلاً من أن يتبع طريقاً أكثر مثالية يكون وأهل بيته الأسوة الحسنة للناس في التنازل عن الإقطاعات الموروثة (بعد توليه الخلافة تنازل عن أملاكه التي انتقلت إليه من أبيه ومزق كتب الإقطاعات بالضياح والنواحي وأبطل قطائع أهله وضمها إلى بيت المال).

وما يؤثر عن جابر بن عبد الله أن مالك الأرض إما أن يزرعها بنفسه وإما أن ينتازل عنها ولو بالهبة لغيره من الناس. قال جابر: كان لرجل منا فضل أرض فقالوا نؤاجرها بالثلث أو الربع أو النصف، فقال رسول الله ﷺ: ((من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها إياه)) أي ليتعهدا بنفسه أو ليتنازل عنها لأخيه.

وأما اغتصاب الأرض بقوة السلطان مع كونها أرضاً حية معتنى بها فإن الإسلام لا يقره مطلقاً بدليل حديث الرسول فيما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: من ظلم شبراً من الأرض طوقه الله من سبع أرضين (وقد روي عن سعيد بن زيد قال، قال رسول الله ﷺ: ((من أخذ شبراً من الأرض ظلماً، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين)).

ولكن الإسلام مع هذا أقر اغتصاب أرض أهملها صاحبها فأصبحت أرض مواتاً.. فقال الرسول: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) وعن عمرو بن شعيب عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقطع لأناس من مزينة أرضاً فلم يعمرها. فجاء قوم فعمرها، فخاصمهم المزينيون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: (لو كانت مني أو من أبي بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله ﷺ ثم تابع حديثه قائلاً: من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها، فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها).

وعن الحارث بن بلال بن الحارث المزني عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقطعه (العقيق) أجمع. فلما كان زمان عمر قال لبلال، (أن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، إنما لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقي) فالإسلام حقق معاني الإشتراكية ولكن على غير الشكل وبغير الطرق التي يتبعها إشتراكيو اليوم.

فهو من جانب لم يبلغ الملكية الفردية ومن جانب آخر لم يتركها دون قيود .
والملكية الفردية إلى جانب المساواة هما المرتكز الذي تبني عليه الاشتراكية فلسفتها .
و الواقع أن نظاماً ما من الأنظمة لم يوفق توفيق الإسلام في قضائه على الفوارق
النسبية والطبقية وتبنيه لفكرة المساواة الإنسانية ولتحديد الملكية الفردية . وبذلك يكون
قد أقام معاني الاشتراكية منذ أربعة عشر قرناً عملاً لا قولاً وتطبيقاً لا تشدقاً .

والمساواة التي يقررها الإسلام ليست مساواة اقتصادية مادية كالتالي يريدونها
الاشتراكيون وغيرهم بل هي قبل كل شيء مساواة وجدانية إنسانية . مساواة في المنشأ
والكونية والمصير.. (كلكم لآدم و آدم من تراب) (لا فضل لعربي على أعجمي إلا
بالتقوى).

أما رأي الإسلام في الملكية الفردية فإنه حد وسط بين الإلغاء والإباحة، وخير
الأمر أوسطها.

فهو لم يترك الأفراد يوغلون في التملك على حساب الفئات الأخرى ﴿.. كَيْ لَّا يَكُونَ
دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ..﴾ {الحشر: ٧}، في حين لم يُحرم الأفراد من حقهم الفطري
من الملكية، إقراراً بوجودها كمخلوقات إنسانية و تشجيعاً لهم على المضي في
أعمالهم قدماً إلى الأمام.

وبذلك تبقى الهمم نشيطة يقظة طالما أن لهم نصيباً في الملكية وحقاً في الأرباح .
و لقد أباح الإسلام الحجر على الأقوياء حتى لا يتركوا نصيبهم ونصيب غيرهم
من الضعفاء .. وهذا ما قام به عمر بن الخطاب ؓ عندما اتسعت رقعة الدولة
الإسلامية، وخشي أن يسرف الأقوياء من وجوه مكة في التملك ولا يتبقى للضعفاء
نصيب، فاحتجز أعلام قريش عن الخروج وقال: (ألا وأن قريشاً يريدون أن يتخذوا
أموال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حيّ فلا).

وحاسب الإسلام موظفيه على ما يمتلكون إن وجد في طرق تملكهم عيباً وحراماً .
وكانت قاعدة رسول الله ﷺ في محاسبته لولائه وعماله: (من أين لكم هذا؟) وولى مرة
رجل على أموال الزكاة، فلما رجع حاسبه فقال الرجل: هذا لكم وهذا أهدي لي.

فقال الرسول : (ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا
أهدى إلي؟ أفلا قعد في بيت أمه وأبيه فنظر أيهدى إليه أم لا؟

بأنه عليكم أخبروني بعد هذا.. وما هي الإشتراكية التي حققت للمجتمع مثلما حققه
الإسلام من عدالة اجتماعية والتي ضمنت للناس ما ضمنه الإسلام من سعادة
وطمأنينة؟

وإليكم أهم الوسائل التي حقق بها الإسلام العدالة الإسلامية والمساواة الصحيحة
بين الناس (قصة الملكية في العالم الكتاب الأول صفحة: 178 – 170).

١- حرّم الإسلام جميع الوسائل التي تؤدي عادةً إلى تضخم رؤوس الأموال
بابتزاز الناس أو غشهم أو التحكم في ضروريات حياتهم أو استغلال عوزهم وحاجتهم
أو عن طريق الانتفاع بالسلطان أو الجاه. فحرم الغش في التعامل واحتكار ضروريات
الناس للتحكم في أسعارها، واحتكار صنف ما في التجارة والصناعة متى كان ذلك
الاحتكار مؤدياً إلى الأضرار بالمستهلكين، وحرّم الربا تحريماً باتاً وحرّم الرشوة
والسحت وأكل أموال الناس بالباطل واستغلال النفوذ، وأجاز مصادرة الأموال التي
تأتي من طريق غير مشروع مهما كانت مكانة كاسبها ولما كانت هذه هي أهم
الطرائق التي تؤدي عادةً إلى إيجاد الفوارق الكبيرة بين ثروات الأفراد ففي تحريمها
تحقيق للتوازن الإقتصادي من أمثل طريق.

٢- ووضع للميراث نظاماً حكيماً يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً،
و يحُول دون تضخمها وتجمعها في أيدي قليلة ويفتت رؤوس الأموال إلى ملكيات
صغيرة؛

٣- وفرض على مختلف أصناف الثروة وشتى مظاهر النشاط الإقتصادي من أنواع الضرائب والزكاة ما يكفل تحقيق العدالة الإجتماعية ويسد حاجات المعوزين ويحول دون تضخم الثروات.

٤- و فرض على الأغنياء من الأقرباء في الإنفاق على العاجزين من أقربائهم، كما هو مفصل في كتب الفقه الإسلامي. وأوجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم على بعض في حالة تكافل وتعاضد، يرقُّ غنيهم لفقيرهم ويسد شعبانهم حاجة جائعهم. حتى لقد ذهب بعض فقهاء المسلمين الى مسؤولية البلد التي يموت أحد أفرادها جوعاً، فيؤدي أهلها جميعهم الدية متضامنين كأنهم شركاء في موته، وأوصى القرآن في أكثر من موضع بالجار القريب والجار البعيد، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ {النساء: ٣٦}، ويروى أن رجلاً كان عند عبد الله بن عباس و غلام له يذبح الشاة، فقال ابن عباس: (يا غلام، لا تنسى جارنا اليهودي). ثم عاد يكررها ثانية وثالثة، فقال له الرجل: (لمَ تقول ذلك يا ابن عباس)؟ فقال: (والله أن رسول الله ﷺ مازال يوصينا بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)، أي يجعل له نصيباً مما ترك بعد وفاتنا.

٥- وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على الزمن(العاجز عن الكسب) والشيخ الفاني ومن إليهما إذا لم يكن ثمة من أقربائهم من تجب عليه نفقتهم.

ولا يفرق الإسلام في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين.

فقد رأى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شيخاً ذمياً يتسول فقرر له نفقة من بيت المال، وقال في ذلك قولته المشهورة (ما أنصفناك إذ أخذنا منك الجزية وأنت شاب، وتركنك تتسول وأنت شيخ).

٦- وأوجب الإسلام على الأغنياء في بعض مواسم تتكرر كل عام أن يخرجوا من

أموالهم صدقات للفقراء والمساكين، ومن أهم هذه الصدقات ما يلي:

(أ)- زكاة الفطر: و هي صدقة يجب على المسلم القادر أن يخرجها في يوم عيد الفطر عن نفسه وعن أفراد أسرته، فيخرج عن كل فرد نصف صاع) نحو أربعة أرطال من قمح، أو صاعاً كاملاً من شعير أو تمر أو زبيب أو قيمة هذا أو ذلك . وزكاة الفطر واجبة، أي في منزلة تقرب من منزلة الفرض و تزيد كثيراً على منزلة المستحب .

(ب)- الضحايا :التي يجب نحرها في عيد الأضحى والهدي الذي يستحب للحجاج نحره وكلاهما يطعم الناحر وأهله من بعضها ويتصدق بعظمها على الفقراء والمساكين.

٧- الكفارات :عمد الإسلام الى طائفة كبيرة من المخالفات التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها التصدق على الفقراء والمساكين، فجعل ذلك تكفيراً للحنث في اليمين، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيمُكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ {المائدة: ٨٩} وجعل ذلك أيضاً كفارة لمعظم أنواع الفطر في رمضان: فالمفطر عمداً يجب عليه القضاء والكفارة، والشيخ الفاني والمريض الذي لايرجى برؤه ومن إليهما تجب عليهم الفدية فقط. وكل من الكفارة والفدية نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير أو أثن من ذلك عن يوم من أيام الإفطار، ويُتصدق به على الفقراء و المساكين.

٨- وأباح الإسلام للإمام أن يتصرف في توزيع الأموال العامة على وجه يحقق التوازن الإقتصادي بين الطبقات ولو أدى ذلك إلى أن يخص ببعض الأموال طبقة دون أخرى. وقد سن هذه السنة الحكيمة وأنفذها عملياً رسول الله بوحى من الله تعالى في القرآن الكريم فقد منح عليه السلام جميع أموال الفيء من بني النضير للمهاجرين خاصة ولرجلين فقيرين من الأنصار، ليقرب بذلك بين ثروات الأنصار، ويحقق شيئاً من التوازن في ملكية الأموال بين هذين الفقيرين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع اسلامي. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ {الحشر:٧} أي حتى لاتكون الأموال وقفا على الأغنياء منكم ويتداولونها فيما بينهم ويقصد بالأغنياء الأنصار ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ {الحشر:٧:٨} .

٩- الصدقات المستحبة: وفضلا عن هذا كله فقد حُبب الإسلام الى الأغنياء التصدق بفضل أموالهم على الفقراء، وجعل هذا من أكبر القربات وأعظمها أجراً وجعل اكتناز الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله من كبائر المعاصي، وتوعد المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة.

بل لقد حُبب الإسلام الى الناس أن ينسلخوا عما زاد من أموالهم عن حاجاتهم وينفقوه كله في سبيل الله. فقد روي عن أبي ذر أنه قال: (خرج رسول الله يوماً نحو أحد وأنا معه. فقال يا أبا ذر، فقلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال: مايسرني أن لي مثل أحد ذهباً أنفقته في سبيل الله أموت وأترك منه قيراطين، قلت أو قنطارين يا رسول الله، فقال: بل قيراطين) (رواه مسلم والبخاري والترمذي والنسائي).

من هذا كله يظهر أن المجتمع الإسلامي الصحيح، وهو المجتمع الذي تطبق فيه جميع القواعد التي سنّها الإسلام في شؤون الإقتصاد والتي أشرنا فيما سبق إلى طائفة من أهم نواحيها، وهو مجتمع مثالي يشجع على العمل، ويعطي لكل مجتهد جزاء من ثمرات الحياة الدنيا. ويفسح المجال للتفوق والطموح، ولكن من جهة أخرى يحقق تكافؤ الفرص بين الناس في شؤون الإقتصاد، ويعمل على استقرار التوازن الإقتصادي، ويحرص على تقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض، ويحول دون تضخم الثروات، ويقيم جميع العلاقات الإقتصادية بين الناس على دعائم

متينة من التكافل والتعاقد والتواصي بالعدل والإحسان، ويضع أمثل نظام للضمان
الإجتماعي ويكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ {يوسف: ٤٠}.



موقف القوميين

من الدين

فتحيكنا

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

اشتط القوميون كثيراً حين نادوا بفصل الدين عن الدولة .وأغرقوا في الوهم والمكابرة يوم أن وقفوا من الإسلام هذا الموقف العدائي الصريح وقد ساعد على رواج فكرتهم واقع العالمين العربي والإسلامي اللذين لا يمثلان الإسلام في أي مرفق من مرافقه الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والسياسية .

وقد يكون للعهود السود المظلمة التي أصقت بالتاريخ الإسلامي دخلها في تشويه نظرة الناس الى الإسلام كدولة وحكم ,في وقت انتقلت فيه الإمامة الكبرى (الخلافة) إلى أيدي أجنبية غير نظيفة فرطت في حق الله .فكان من جراء ذلك أن اعتقد جمهور من المسلمين ومن غير المسلمين أن تلك العهود تمثل الإسلام في الشيء الكثير أو القليل مع أن الإسلام منها براء.

إن من الخطأ الحكم على فكرة معينة من خلال تصرفات أشخاص حادوا عنها وتكبوا عن طريقها وكذلك هو شأن القوميين حين يحكمون على الدولة الإسلامية- من خلال نظرتهم إلى الخلافة العثمانية مثلا ..مع أن الخلافة العثمانية لا تعتبر المقياس الصحيح العادل الذي يحدد مدى صلاحية الحكم الإسلامي ومدى أهليته للحياة . فالصدر الأول للإسلام مليء بالمقاييس الصحيحة التي تعتبر بحق اكاليل الغار في جبين الإنسانية مدى الحياة.

بالله عليكم ..هل يسأل الطبيب إن أخطأ الصيدلي في تركيب أجزاء العلاج؟ أم أن الأخير هو المسؤول عن عدم تقيده بتعليمات الطبيب؟ وهذا هو الحال مع الإسلام وبعض الحكام .فإذا انحرف هؤلاء عن جادة الصواب ولم يتبعوا وصفة الله التي اختارها لبني البشر ,فإن هذا لا يعني قطعاً أن هذه الوصفة هي التي سببت الانحراف في جسم المريض ..بل إن اللوم كل اللوم واقع من فرط في العلاج ولم يسترشد بالتعليمات المطلوبة منه.

والحق .. أن سبباً من هذه الأسباب لا يعقل أن يبني عليه القوميون فكرة فصل الدين عن الدولة. بل إن للثورة الفرنسية وما سبقها من نزاع بين رجال الدين ورجال العلم أكبر الأثر في تدعيم فكرة الفصل في عقول المطالبين بها.

لقد كانت الجماهير محقة في خروجها على الكنيسة ومطالبتها بإقصاء رجال الدين عن المسرح السياسي بعد أن ذاقت من هولاء الأمرين، فالظلم والقتل والشنق كانت من الوسائل التي لجأت إليها الكنيسة لتدعيم سلطانها الذي بدأ يتصدع تحت مطارق التحرير.

ولا بد لنا وقد تعرضنا لهذه المشكلة بالذات أن نعود زمناً إلى الماضي البعيد نرقب الأدوار التي مرت بها المسيحية قبيل اندلاع نار الثورة في أوروبا.. وبالأصح لنقف على حقيقة الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة بالذات.

كانت أوروبا قبيل دخول المسيحية إليها مسرحاً لضراوة البشر وتتمرهم وتفلتهم من الحظيرة الإنسانية. لم تكن هنالك قوانين تصون حرية الأفراد بل كانت القوة هي القانون الذي يستطيع أن يفرض نفسه بنفسه.

ولم تكن هنالك مقاييس أخلاقية تحفظ للإنسان طبيعته الإنسانية.. ولكن الإنسان خرج عن كونيته الخلاقة المبدعة المترفعة الى حياة أشبه بحياة الغاب وكونية أقرب إلى كونية الحيوان.

في مثل هذه الظروف .. دخل الدين المسيحي أوروبا تتقدمه ترانيم المحبة وتراتيل السلام.. فكان من الطبيعي أن يحصل الصدام والشقاق. إذ كيف لتعاليم المسيح القائلة (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر) (ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين) (ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاخلع له الرداء أيضاً) كيف لهذه التعاليم

السمة الرقيقة أن تجد لها قبولا في نفوس طال عليها الأمد فقست وتحجرت. إن هذا بالأمر المحال ولذلك لزم رجال الدين كنيستهم يضربون أخماساً بأسداس.

يقول سيد قطب في كتابه العدالة الإجتماعية (ولكن رجال الدين من القساوسة والكرادلة والبابوات لا يستطيعون أن يضمّنوا مصالحهم، ولا يحافظوا على نفوذهم إذا بقيت الكنيسة في عزلة عن الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية. فلا بد إذن أن تكون للكنيسة سلطة الملوك والأمراء. ولا بد أن تستغل سلطانها الروحي في ميدان الحياة العامة. وجاءت عصور كان للكنيسة أملاك وجيوش وسلطان لا تقل عن أملاك الملوك وجيوشهم وسلطانهم. ووقع النزاع كما بد أن يقع بين الكنيسة والسلطان وبين البابوات والأباطرة وكان الدهماء في الغالب في صف الكنيسة. ثم وقع الوفاق كما لا بد أن يقع بين هاتين السلطتين، لالتقاء مصلحتيهما في تسخير الجماهير واستغلال الدهماء ما دامت مادية واقتصادية في حقيقتها وما دام النزاع في أصله على السلطة الزمنية).

ولكن وعي الأحرار واستيقاظ الجماهير كان أقوى من أن تقف في سبيله جيوش أو تثنيه عن عزمه سجون ومحاكم تفتيش.. بل إن وسائل العنف غالبا ما تزيد النار تأججا والثورة غليانا. هذا ما حدث فعلا في تلك الفترة المظلمة. وما لبثت براكين الثورة أن تفجرت في كل مكان ناقمة مرعدة. ويسدل الستار بعد جسيم المآسي عن انهزام الدين (برجال الدين) وانتصار الجماهير الشعبية. ويعود جبار الكنيسة الى قمقمه بعد أن دكت صروح قوته، وزلزلت أركان سطوته، يعود ليندب حظه الضائع ومجده التليد، بينما يتقدم الشعب المتحرر متمراً من خمرة النصر.

من هنا تكونت فكرة فصل الدين عن الدولة.. وأن ما لقيصر لقيصر ومالله لله. ومن هنا انطلقت أصوات الشباب الحائر - في دنيا العروبة - مرجعة أصداء الصراع البعيد الذي نشب بين المسيحية وبين النهضة الفكرية في فرنسا.

ولكن تاريخ الإسلام لا يشهد قط أي صراع حدث بين رجال الدين ورجال الحكم... إذ لم يكن في الإسلام أصلاً فئة مميزة تدعى - رجال دين - والإسلام يعتبر كل فرد من أفراد رجل دين إن تحققت في نفسه وسلوكه تعاليم الدين. كما أن الإسلام لا يفرق في الوقت نفسه بين الدين كعبادة والدولة كحكم بل يجعلها سبباً لعلّة واحدة وهي إظهار الحق. وأنت ترى ذلك واضحاً في آيات كثيرة من القرآن قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ {الحج: ٤١}، فلزوم التمكين في الأرض بالحكم والسلطان والدولة مقصده إقامة أمر الله والعكس بالعكس.

ولقد ظهرت هذه الصورة واضحة خلال حياة الرسول وصحابته الكرام. فكانوا رجال حرب ومحراب في وقت واحد، يئمون الناس في مساجدهم ويقودونهم في حربهم ونزالهم. وبذلك ينعدم النزاع بين رجال الدين وبين رجال الحكم في الإسلام بانعدام أسبابه ويخلو واقعه من هيئة أكليروس.

وهذا لا يعني أن الحكام هم المتصرفون بأمرهم في الإسلام وليس لأحد من سلطان عليهم! فتاريخ البشرية لم يشهد يوماً حرية أفراد في ظل حكومات كما شهدتها في ظل الدولة الإسلامية. فكان الأعرابي النكرة يأتي إلى الخليفة - عمر بن الخطاب - من دان له ملك فارس والروم، ليقول له: (والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) فالإسلام ترك للشعب حق محاسبة الحكام.. بل وجعل محاسبتهم جهاداً يثاب المرء عليه بدليل قول الرسول ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر).

وعلى هذا فإن تاريخ الإسلام وواقعه مختلفان تمام الاختلاف عن واقع المسيحية وتاريخها. ولكن خطأ الكثيرين الذين حكموا على الإسلام بجرم ارتكبه رجال الدين المسيحي في عهود غابرة إنما يعود إلى جهل هؤلاء بالإسلام كرسالة تختلف بخصائصها ومضمونها عن خصائص المسيحية ومضمونها.

العالمية

فالإسلام دين عالمي للناس كافة.. لم يكن الخطاب فيه موجهاً إلى قوم كما هو الحال في رسالة موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ..﴾ {الصَّف:٥}، كما لم يكن موجهاً الى شعب معين كما هو الحال في رسالة عيسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ..﴾ {الصَّف:٦}، بل جاء الخطاب في الإسلام عالمياً قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}..الأعراف {158:تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} الفرقان {1:والرسول يقول): مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ,فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة - فأنا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين .)

الشمول:

وجاء الإسلام يحمل في جعبته أدواء الإنسانية جمعاء .فهو من جانب مطهر للنفس ومن جانب آخر مشرع للقوانين ومنظم للحياة على اختلاف مرافقها .لقد بعث محمد ليقيم دولة ويسوس أمة .أما المسيح عليه السلام فكانت مهمته ظاهرة في قولته المشهورة) إنما جئت لأهدي الخراف الضالة من بني اسرائيل .(فلم يبعث عليه السلام لقيادة الجيوش ولكنه بعث لقيادة النفوس وتطهيرها مما لحق بها من دنس الشهوات.

فإذا تطاول أصحابه بعده وحادوا عن طريقه ,وتطلعت نفوسهم إلى الحكم والسلطان فحسبهم أنهم نالوا جزاءهم ودفَعوا ثمن خروجهم على تعاليم دينهم .ولكن ما علاقة هؤلاء بالإسلام..؟! ولماذا يقاس الإسلام بهم أليس هذا هو عين التخريف والجهل والإغراض؟ إن اتهام الدين المسيحي نفسه بتسخير الملايين إفك وإثم لأن الذين سخرّوا الملايين هم رجال الدين لا الدين .والذي يدرس هذه المشكلة درساً

نزيتها مخلصاً يدرك تمام الإدراك أن الدين المسيحي يبرأ من كافة الأعمال والطقوس التي ابتدعها أكليروس العصور الوسطى. وما صكوك الغفران التي كان يزعم هؤلاء أنهم يحرمون بها من يشاؤون الجنة ويدخلون بها من يريدون النار إلا وسائل استغلال رخيصة الهدف من ورائها أحكام القيود في عنق الشعب حتى لا ينتسم عبق الحرية, وبالتالي لتبقى الجماهير مساقاة سوق النعاج أمام سياط رجال الدين.

فإذا برأ الدين المسيحي نفسه من كل هذه الشعوذات, فالأحرى بمن يريد أن يحكم على رسالة الإسلام بصدق أن لا تحرفه السفاسف عن صوابية الحكم وعدلية القضاء . خاصة وأن الإسلام لا يعترف بأية هيئة تنصب نفسها وصية على الدين.

المرونة:

والإسلام في طبيعته دين متجدد لا متحجر ..والتجدد فيه لا يعني الخروج على القواعد والأصول، بل يعني التجدد في فهم هذه القواعد والأصول. وهذه الميزة التي اختص الله بها الإسلام دون سائر الديانات - كخاتمة لها - هي التي أكسبته الصلابة في تشاريعه وأصوله. والمرونة في الإسلام هي التي اطلقت للناس في كل عصر فرص الاستفادة من خيرات المجتمعات المتعاقبة التي يعيشون فيها. حتى غدت القرون على تعاقبها لا تزيد الإسلام في العالمين إلا رسوخاً وسموقاً.

ومتى صح أن رسالة الإسلام رسالة عالمية شاملة مرنة خلافاً لسائر الرسائل تعطل عندئذ وجه الاستدلال بين هذه الديانات. وأصبح القول بفصل الإسلام عن الدولة عن طريق الاستدلال الأنف الذكر تخريفاً لا منطق له ولا مبرر. وذلك بدليل فقدان التجانس بين المستدل به والمستدل عليه. ومتى فقد المدعي الدليل والبيينة على إثبات دعواه فقدت الدعوة بالتالي ماهيتها وأصبحت جوفاء لا قيمة لها ولا معنى.

واستطراداً لما تقدم أقول أن الحجة التي يستدل بها دعاة فصل الدين عن الدولة إنما هي حجة واهية، وإن دلت على شيء فإنما تدل على أحد أمرين، إما جهل بالإسلام، أو إغراض يراد من ورائه إقصاء الإسلام عن الحكم وهذا ما يسعى له المستعمرون منذ القدم. فأما في الحالة الأولى فإننا ننصح الجهلة الذين يحكمون على شيء من غير وعي أو فهم أن يدرسوا الإسلام قبل أن يحكموا عليه وأن يعوه قبل أن يشوهوا حقيقته. وأما في الحالة الثانية فإننا نحذر المغرضين في عدم اتباع هذه الأساليب الملفقة للنيل من الإسلام كما نطلب إليهم أن يلزموا جهورهم بهدوء وصمت، وأن يبتعدوا عن تيار الفكرة الإسلامية الزاحف لأنه سيدوسهم كما داس المغرضين أمثالهم .



أهداف

القومية العربية

في الميزان

مما لا شك فيه أن فئات القوميين العرب تتفق اتفاقاً وثيقاً من حيث الأهداف السياسية والأمنية الوطنية. وأما أن بعض فئاتهم لم تتبن بعد الإشتراكية فلسفة للحياة فلا يدل هذا على تباين في الأهداف وإن وجد التباين الفكري من حيث النهج والأسلوب.

وسنعرض في بحثنا هنا للأهداف التي ينادي بها القوميين العرب ونبين موقفنا كإسلاميين من هذه الأهداف واحدة واحدة.

1- التحرر من الاستعمار: هو أول الأهداف التي ينادي بها القوميون .. بل هو

أمنية كل عربي حر.

والإسلام أول من يبارك هذه الخطوة ويدعو أتباعه للجهاد في سبيلها. وحسبنا دليلاً على ذلك تلك الحركة الجبارة التي أفلقت الإنكليز في قاعدة القتال سنة 1951 ، ومعلوم لدى المطلعين أن هذه الحركة غذتها عناصر إسلامية. أما أرض فلسطين فلم

تجف بعد من دماء الشباب المؤمن الذي تخلى عن تحصيله الجامعي ليلتحق بقافلة
المجاهدين في الجولة الأولى.

فتحرير البلاد العربية من الإستعمار كانت وما تزال الأمنية المشتركة بين
القوميين والإسلاميين..

ولكن هذه الشراكة بين الإثنين كانت مقصورة على التحرر العسكري والسياسي
فقط ..

أما التحرر الثقافي .. أما التحرر الوجداني .. أما التحرر الإجتماعي .. أما التحرر
الخلقي، فكان يستنزف جهد الإسلاميين دون سواهم.

نحن نتحدى أى مخلوق رفع صوته أو انبرى بقلمه محاربا رزايا الغرب ووذائله،
اللهم إلا فئة الإسلاميين على قلتهم وضعف إمكانياتهم والأنكى من كل هذا وذاك أنك
تشاهد من يحارب الإستعمار سياسيا وكلاميا هو أشد العشرة تمسكا بعاداته ومحافظه
على نقائصه.

فكيف بربكم يتم نصرنا على عدو استوينا معه في المعصية في حين تفوق قوته
قوتنا؟ .. ونحن نؤمن بأن الخصمين إن استويا في المعصية كان النصر للاقوى وإن
كان ظالما .ويحدثنا التاريخ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرسل الى سعد بن أبي
وقاص قائد جيوش المسلمين وكان في جهاد مع دولة الأكاصرة قال فيه) أما بعد فإنني
أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال .. فإن تقوى الله أفضل العدة على
العدو، وأقوى المكيدة في الحرب .وأمرك ومن معك بأن تكونوا أشد احتراساً من
المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر
المسلمون بمعصية عدوهم الله ..ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدونا ليس كعددهم
ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا
ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله،

يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا أن عدونا شرٌّ منا فلن يُسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شرٌّ منهم كما سلط كفار المجوس على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله فجاسوا خلال الديار وكان وعد الله مفعولا واسألوا الله تعالى العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.)

فالتحرر من الإستعمار يكون على أسس انعتاق نفس المتحرر من كل ألوان الإستعمار ..إنعتاق النفس من التأثير بعباداته والتلوث بمعتقداته ..إما أن أخاصمه على صفحات الجرائد وأهاجمه من وراء المذياع ومن فوق المنابر بينما أعانقه في المرقص على أنغام) روك اندرول (و) الهيبلا هوب (إما أن أشتمه في مظاهرة صاخبة قبل الظهر وأسرع لمشاهدة أفلامه السينمائية بعد الظهر !فهذا مما أعتقد لايرضى به إنسان فيه قليل من الإحساس.

فالأحرى بمن يلهجون بالتحرر والحرية أن يحرروا أنفسهم من شهواتها وعقولهم من نزواتها ..وهذا هو الفرق بين الحريتين.

2-الوحدة العربية : هي ثاني الأهداف التي ينادي بها القوميون، ويعتبرونها قمة أمانهم وأحلامهم والإسلام هو دين الوحدة والاتحاد ..ودعوة الإسلام إلى الوحدة ظاهرة في أكثر من آية قرآنية وحديث نبوي، وهذا الأمر لايقبل الشك ولا الجدل.
فوحدة البلاد العربية ضرورة حتمية ..إنها ضرورة سياسية وضرورة اقتصادية، وضرورة ثقافية، وضرورة اجتماعية وفوق كل هذا وذاك هي ضرورة دينية.

أما أن الوحدة ضرورة سياسية فلأن واقع العالم الذي تتعرض فيه الدول الصغرى لإعتداءات الدول الكبرى يحتم على البلاد العربية سرعة الاتحاد، وأن القرن العشرين

شهد من ضراوة الغرب تجاه الشرق ما تقشعر لهوله الأبدان. فإذا لم يكن الإتحاد ضرورة سياسية بحكم الواقع فلقد أصبح ضرورة بحكم الحاجة.

جاء في كتاب الوحدة العربية للاستاذ محمد عزة دروزة) أن كل واع سليم التفكير يعترف في قرارة نفسه أنه لن يكون للعرب كيان محترم قوي إلا بالوحدة الفعلية. ويعترف أن العرب سيظلون عرضة للإزدراء والبغي والاستغلال ماداموا لا يجتمعون في وحدة فعلية قوية شاملة. واتجاه العالم اليوم إلى التكتل وقيام الوحدة بين شعوب لا يجمع بينها إلا الجوار والمصلحة السياسية والدفاعية مما يزيد من قوة تلك الضرورة والحافز عليها).

ويدل سجل العرب التاريخي أنهم لم يندحروا وينهزموا إلا عندما كانت وحدتهم منفصلة.. ولم يكونوا أقوياء أعزاء إلا عندما كان التضامن والتعاون على أشده بينهم.

وتظهر أمثال تلك الصور المتداعية في أوائل القرن الثاني للهجرة عندما كانت أطراف بلاد العرب كالأندلس والمغرب العربي معرضة لاعتداءات مستمرة نتيجة إضطرام نار الفتن والخلافات في قلب البلاد العربية.

وأما أن الوحدة ضرورة إقتصادية فلأنها مدعاة إلى رواج المبادلات التجارية وازدهار الحركة الصناعية مما يجعل البلاد العربية سوقاً تجارية واحدة ويتيح توسيع المشاريع الصناعية وكثرة الإنتاج وتخفيض كلفته و من ثم إلى خلق إمكانيات الإستهلاك في الداخل والخارج.

(لقد كانت الوحدة الإقتصادية متوفرة في أقاليم الوطن العربي الكبير لفترات طويلة، لما كانت تعيش في ظل من وحدة سياسية و روحية و اجتماعية ولغوية- فضلاً عن الوحدة الجغرافية والجنسية خاصة في تاريخها الإسلامي .. و ظل الأمر كذلك إلى حد قريب.

و لم يكن في ظل عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين أي قيود وحواجز لتنتقل العرب من بلد عربي إلى آخر والإقامة فيه والنزوح والإشتغال فيه والإتجار معه تصديراً وإيراداً، والبروز فيه الى درجات الواجهة والحكم والسلطان على ما تنبئ به صفحات التاريخ. فكان ذلك مما يطمئن حاجات ومقتضيات الفرد العربي، ويشعره بحريته و بذاتيته ويحفزه على الطموح والنشاط في سبيله ويصيبه نتيجة ذلك الخير العظيم .

وكان ذلك من أسباب ما يرويه التاريخ في الإزدهار الإقتصادي والزراعي والصناعي والفني والعمراني.(1)

كل هذه الضرورات و غيرها مما لا ينبغي التغافل عنه، ولكن أن يقف القوميون في دعوتهم إلى الإتحاد عند هذا الحد من الضرورات المادية ..و أن يجعلوا الآصرة التي تشد المصري إلى السوري والعراقي إلى اليمني آصرة إقتصادية وسياسية تفرضها الحاجة إلى تصريف المنتجات فهو امتهان بحق هذه الأمة التي لها من مقومات الوحدة أكرمها وأمتنها وهي العقيدة والدين..

و طبعي أن تكون آصرة الدين هذه سبباً لجذب البلاد الإسلامية إلى وحدة كبرى تعدادها خمسمائة مليون نسمة عوضاً عن سبعين مليون - إن اقتصرت الوحدة على البلاد العربية وعند ذلك يحق لنا أن نكون معسكراً ثالثاً لأننا أصبحنا مجموعة بشرية كبرى تشترك في عقيدة واحدة وأهداف وأمنيات واحدة.

(وغني عن أن البيان أن قيام العرب بهذا الواجب العظيم الذي فرضه عليهم القرآن منوط بقدرتهم عليه وتأهلهم له وتهيئتهم أسبابه من التنظيم والحماية .وكل هذا لا يتم إلا بالوحدة .فإذا اتحدوا وغدت جيوشهم واقتصادياتهم وتشريعاتهم وثقافتهم وسياساتهم ومنظماتهم موحدة استطاعوا أن يقوموا به على أحسن وجه.

و بعكس ما إذا ظلوا متفرقين حيث تظل قوتهم المادية والمعنوية عاجزة على إدراك الهدف والتفرغ له فضلاً عن أنهم يظلون على مثل ما هو ماثل اليوم للعيان من الضعف والوهن والتخاذل والمكاييد مما يجعل القيام بشيء من ذلك الواجب متعذراً.

و مما لا ريب فيه أن عدم اتحادهم والتأهل بذلك للقيام بواجبهم الإسلامي الإنساني العظيم وبقاؤهم على ما هم عليه من الوهن والضعف والتخاذل سيجعلهم آثمين عند الله و مقصرين في حق الله أكبر تقصير. (1)

و هذا هو الفرق بين الوحدتين..



الإسلام..

رسالة القومية العربية

صح إذن أن القومية العربية ليست غاية لذاتها.. وإنما هي واقع يحتاج إلى أهداف ومثّل عليا.. وأن الإشتراكية نظام إقتصادي بعيد عن واقع الأمة العربية ولا يصح اتخاذها نظاماً للحياة بدليل ما أسلفنا، وأن الإسلام هو رسالة إلى العرب وإلى العالم بدليل سبّقه في هذا المدان.

وتدعيماً لهذا نقول.. أن رسالة قوم - أي قوم - يجب أن تنبع من صميم كينونتهم، لا أن تستورد من مطابخ أجنبية عنهم. لأن الرسالة هي نظام حياتي عاشته أمة رداً من الزمن فانصهرت به، وأصبحت فلسفته في الحياة فلسفتها ومعتقداته ومعتقداتها.

وغير رسالة الإسلام لم تعرف دنيا العرب رسالة امتزجت فيها هذه الضروب من العناصر التي تتكون منها كل أمة. فبالإسلام عز العرب وبالعرب عز الإسلام. هذا ما نطق به رسول أمة العرب في حديث قال فيه: (إذا دُلت العرب دُل الإسلام).

وبعد :

تأسست عام ٢٠٠٩
مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

فإن البلاد العربية اليوم على مفترق طريقين .. طريق وعر شائك فيه ذلها
واندثارها .. وطريق سهل معبد فيه عزها ومجدها .والإسلام هو طريق عز العرب
ومجدهم وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ { الأنعام.}153:

فإلى شباب هذه الأمة الذين يتخبطون في دياجر المبادئ وظلمات الدعاوى نمد
أيدينا لنسير معاً نحو مجتمع أفضل تتحقق فيه مبادئ الحق والقوة والحرية .

